أسباب الخطأ في المفاهيم

دكتور

محروس محمد محروس بسيوني

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية -جامعة قطر حاليًا – جامعة الأزهر سابقا

مؤتمر
كلية
الدراسات
الإسلامية

مؤتمر
كلية
الدراسات
الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤتمر
كلية
الدراسات
الإسلامية

ملخص البحث:

إن المفاهيم ليست ألفاظًا كسائر الألفاظ، وإنما هي مستودعاتٌ للمعاني. والدلالات كثيراً ما تتجاوز البناء اللفظي وتتخطى الجذر لتعكس كوامن فلسفة الأمة ودفائن تراكمات فكرها ومعرفتها. وتحظى ساحة الخطاب الديني بالكثير من المفاهيم التي أدى سوء فهمها إلى طرفي نقيض، فمرة تؤدي إلى إفراط يغرس التشدد والتطرف والإرهاب، وأخرى إلى تفريط يفسح المجال للتفلّت من أحكام الدين وقواعده. وكلاهما خطر على الأمة في حاضرها ومستقبلها؛ لما يدعو إليه الفهم السقيم من تنازع على أسس مذهبية ويفسح المجال لخطط الأعداء وحبائلهم كي تنال من الأمة ووحدتها وأمنها واستقرارها. وتتعدد الأسباب بين ذاتية وخارجية، فالذاتية منها: التعصب، والانغلاق على الذات، وضعف الثقافة الإسلامية الرشيدة، والنظرة الحزبية أو الجزئية للنصوص، وكذلك التنشئة الفكرية المشوّهة. وأما الخارجية فكثيرة منها: المنزلقات التراثية، والغزو الفكري، وضعف الخطاب المؤسسي الرسمي وعدم قدرته على الإقناع، وكذلك الخطط المُمَنْهَجَة والمُعدَّة بإحكام للسيطرة على العقول المسلمة من قِبَل منظمات وجماعات ودول تعمل على تنفيذ أهداف معدة سلفًا وتسعى لتحقيقها .وتتعدد المفاهيم التي اختلط فيها الفهم وتم لي النصوص لإثباتها ومنها مفهوم الجهاد والفرقة الناجية والولاء والبراء والتكفير والتفسيق والردة..وغيرها من المفاهيم التي أثرت على مسيرة النهضة للعالم الإسلامية في العصر الحديث، وجعلت مجتمعاته ساحة للتنازع والاحتراب بدلاً من أن يكون ساحة للسلم والأمان. مما يجعل الحاجة ملحة للبحث عن الأسباب وراء هذه الأخطاء في فهم تلك المفاهيم.

الكلمات المفتاحية: الأسباب – الخطأ – المفاهيم .

مؤتمر
كلية
الدراسات
الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بحث " أسباب الخطأ في المفاهيم"

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وبعد،

إن اختلاف الأفهام سنة من سنن الخلق، فالبشر لا يتساوون في أفهامهم كما لا يتساوون في أشكالهم وألسنتهم، فمنهم الذكي ومنهم الغبي، منهم سريع الفهم حاضر البديهة، ومنهم بطيء الفهم عريض القفا. وميدان المفاهيم ميدان متعدد الأبعاد، يحتاج للصحة في مصدر التلقي، وللثقة في طريق التلقي كذلك، كما يشتد احتياجه إلى حسن تنزيل المفاهيم على الواقع المشاهد أو القضايا المنظورة، فضلًا عن احتياجها لمعايير حاكمة وضابطة تغلق باب المغالطات والأخطاء وتضع منارات هداية للسالكين، وذلك حتى تكون المفاهيم منضبطة واضحة لا التباس فيها ولا غموض، نظرًا لما لها من آثار كبيرة على نظرة الإنسان لما حوله من قضايا، ولما يقوم به من سلوكيات.

وتعتبر مشكلة تحديد المفاهيم والمصطلحات والمفردات المعرفية من أخطر ميادين التدافع الحضاري ،((إذ أنهما المعبر عن الثوابت الحضارية والمرجعية الثقافية، ذلك أن المفاهيم والمصطلحات، أو ما يُمْكِنُ أن نُعبِّر عنه بعالم الأفكار والعقائد هي وسائل التحصين وأسلحة التدافع وأدوات التدافع الحضاري))[1] إن عملية تحديد المفاهيم ((هي اللبنات التي تُؤَسَّسُ منها المنهجية. ومن ثَمَّ، فما من عمل مناهجي إلا ويكون قوامه عملية

[1] عمر عبيد حسنه(تقديم) في: أحمد القديدي، الإسلام وصراع الحضارات، سلسلة كتاب الأمة (٤٤)،ط١(قطر مايو ١٩٩٥م) ص٢٢.

التأصيل للمفاهيم))[1] كما إن تحليل المفاهيم الأساسية لأي فرع أو حقل معرفي ((يعتبر المدخل الأول لتفكيك ذلك الفرع أو الحقل بشكل يسمح بتشخيصه، وتحديد وضعيته، ومعرفة مبادئه ومداخله. فالمفاهيم ليست ألفاظاً كسائر الألفاظ ،وإنما هي مستودعات للمعاني والدلالات، كثيراً ما تتجاوز البناء اللفظي وتتخطى الجذر لتعكس كوامن فلسفة الأمة ودفائن تراكمات فكرها ومعرفتها))[2]

ومما لاشك فيه أن الشوائب الدخيلة على المفاهيم الإسلامية يستدعي الحديث عنها إلى إلقاء نظرات عميقة إلى مصادرها ومنابع قدومها، ونظرات عميقة أخرى إلى السبل والوسائل التي تسربت من خلالها، فاختلطت في مفاهيم المسلمين ضمن حشد التعاليم الأصلية، أو زاحمت بعضها ثم احتلت مكانها.

والمفاهيم لها أبعادها ودلالاتها، فلها دلالات حسية مقصودة وأخرى غير مقصودة، إلا أنها بعد فترة من الزمن تصير لها صور ذهنية في الخلفية الفكرية للإنسان، فيتعايش معها وبها، ومن خلالها تتكون شخصيته ويتغير نمط حياته.

هذه المفاهيم تنشأ مع الفرد منذ نشأته الأولى، وتنتقل معه في مراحل حياته، وفي هذه المراحل قد تترسَّخ هذه المفاهيم أو يتم تعديلها، وقد

---

[1] منى عبد المنعم أبو الفضل، نحو منهاجية للتعامل مع مصادر التنظير الإسلامي بين المقدمات والمقومات، سلسلة المنهجية الإسلامية (١٣)، ط١(القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي،١٩٩٦م)ص٨.

[2] نصر محمد عارف، الحضارة- الثقافة – المدنية، دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، سلسلة المفاهيم والمصطلحات، (أمريكا: المعهد العالمي للفكر الاسلامي،١٩٩٤م) المقدمة ص٧

تتلاشى بفعل عوامل الثقافة والتنشئة الاجتماعية بغض النظر عن نوعيَّة هذه المفاهيم بين إيجابية وسلبية.

كما أن تأثيرها يكون تبعًا لنوعية هذه المفاهيم، وعلى أساس نوعية المفاهيم من حيث الإيجاب والسلب تكون الآثار الإيجابية والسلبية وذلك لدورها في تشكل الوعي، وبناء قاعده معرفية للإنسان.

ويتأتى إيمان الفرد بهذه المفاهيم من خلال روافد عدَّة في مراحل حياته المختلفة، ويحدث الخلل للفرد عندما يعتنق مفاهيم خاطئة فاسدة، فتتغير حياته، ويحتاج لعلاج ناجح لما أصابه من اضطراب في المفاهيم، وخلل في المعايير الضابطة لها، والتي أتاحت لهذه الأخطاء السبيل لتؤثر في هذا الإنسان وتفسد عليه حياته ونظرته لما حوله.

ولن تنجح عملية التجديد للخطاب الديني إلا بعد تقصي هذه العوامل التي أحدثت هذا الخلل؛ ليعود الإنسان المسلم لصفاء نفسه وسلامة فهمة ووعيه.

إن مما لا شك فيه أن جوهر الصراع بين أي منظومة فكرية وأخرى سواء كانت تلك المنظومات المتصارعة أدياناً أو فلسفات أو حتى مذاهب ونظريات هو المفاهيم. " وأن المفاهيم الممجوجة وتطبيقاتها على أرض الواقع، قنابل موقوتة في منطقتنا العربية والإسلامية، وأن جزءاً كبيرًا من المعارك الفكرية سيكون معها.[1]" وأن " للمفاهيم أهميتها وخطرها، فهي قاعدة المعرفة الرئيسة، وهي اليوم تقع في قلب دوائر الصراع الحضاري

[1] - المفاهيم الملتبسة بين الطرح العلماني والفكر الإسلامي ، د / مولاى مصطفى البرجاوي كتاب إلكتروني إصدار شبكة الألوكة ، ص: ٣٥.

والفكري بين الأمم، بل وفي داخل الأمة الواحدة؛ مما يوجب العناية بالمفاهيم تحقيقاً (للأمن الفكري) لأمتنا وبلادنا[1].

يقول ابن حزم الظاهري عن خطر المفاهيم الفاسدة على الأمة ونهضتها: "الأصل في كل بلاء وعماء وتخليط وفساد اختلاط أسماء ووقوع اسم واحد على معان كثيرة، فيخبر المخبر بذلك الاسم وهو يريد أحد المعاني تحته، فيجعله السامع على غير ذلك المعنى الذي أراد المخبر، فيقع البلاء والإشكال. وهذا في الشريعة أضرُّ شيء وأشده هلاكا لمن اعتقد الباطل إلا من وفقه الله تعالى".[2] لذا صارت الحاجة ماسة لهذه البحث، لتفادي الأخطار المحدِقة بالأمة وشبابها، وليصير التجديد المنشود في مساره الصحيح.

- **أهمية دراسة أسباب الخطأ في المفاهيم**

تعظم الحاجة لبيان أسباب الخطأ في المفاهيم لما يلي:

١ – لأن الواقع يشهد بتمدد الكثير من المفاهيم المغلوطة التي تمثل عائقًا أمام أي حركة تجديديَّة دعوية.

٢ – لأنَّ المفاهيم المغلوطة ينخدع بها بعض المسلم؛ لأنها تحمل بعدًا دينيًّا يحمل صاحبه على التسليم به، حيث يُعَدُّ التسليم بها والانقياد لها من تتمات الدين ومقتضيات الإيمان.

٣ – الاعتماد في إشاعة هذه المفاهيم على أساليب ملتوية يجعلها قابلة للتصديق ودافعة لسلوكيات غير صحيحة في أغلب الأحيان.

---

[1] - تأثير المفاهيم الخاطئة في حياتنا، هيفاء صفوي. http://www.alukah.net

[2] - الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الظاهري، تحقيق لجنة من العلماء، دار الجيل ،بيروت م٣- ج٨-ص:٤٦٤.

٤- لأنَّ الأمة في حاجة إلى وعيٍ ودِقَّة فهم؛ فالوعي هو المعرفة الحقيقية المبنيَّة على وقائع ودراسات موضوعيَّة بالواقع الذي نعيشه؛ من حيث إكراهاته، ثمَّ عقد العزم على إحداث التغيير، فالوعي معرفة وممارسة.

٥- لأنَّنا نعيش اليوم عقمًا مفاهيميًّا، فنحن نحتاج إلى معرفة نظريَّة للمفاهيم، وإلَّا فإننا سنبقى ندرس الخطأ؛ كما هو حاصل اليوم.

٦- الوعي بالمفاهيم سبيلٌ ممهد لإزالة سبل الشقاق بين الناس، فمرجع الاختلاف عند معظم الناس هو الخلل في فهم المفاهيم الضَّابطة لحركة الإنسان في المجتمع، ولذلك تُعَدُّ معالجة الخلل الذي يطرأ على المفاهيم مهمةً لتضيق هوة الخلاف أو أزالته بين الناس، كما يرسم معالم لعلاقات جديدة أساسها مفاهيم صحيحة ترسخ بناء فرد ومجتمع صالحيْن.

٧- انتهاج سبيل القرآن الكريم والسنة المطهرة في الثورة على المفاهيم المغلوطة منذ بداية الوحي؛ ليعلم المجتمع المسلم ضرورة تمحيص المفاهيم السائدة في كل عصر ليسلم المجتمع من أضرارها.

٨- وفرة المفاهيم الصحيحة المستوحاة من الوحي (القرآن والسنة) والتي تُعد معيارًا للمسلم في حياته وصياغته لقيمه ومفاهيمه وأفكاره وترسم حياةً واعيةً للفرد وللمجتمع.

مشكلة البحث

تحظى قضية المفاهيم بمكانة كبيرة نظرًا لأهميتها في موضوع تجديد الخطاب الديني. حيث يُعد ضبط المفاهيم هو الخطوة الأولى والمهمة لعملية التجديد، ولما كانت المفاهيم يعتريها الخلل والاضطراب عند بعض الناس خاصةً في عصرنا الحاضر- عصر السماوات المفتوحة- صار

البحث عن سبب هذا الخلل من الأهمية بمكان، ولذلك تَكْمُنُ مشكلة البحث في الإجابة على السؤال التالي: ما أسباب الخطأ في المفاهيم؟.

أسباب البحث

١ – انتشار المفاهيم الخاطئة عند بعض المسلمين.

٢ – خطورة الخطأ في المفاهيم على وعي الناس وسلوكياتهم.

٣ – التأثير السلبي للمفاهيم الخاطئة على مسيرة التجديد الديني.

أهداف البحث :

١ – المساهمة في تجديد الخطاب الديني على أسس علمية سليمة.

٢ – الاطلاع على أنواع الأسباب التي تؤدي إلى الخلل في فهم المفاهيم.

٤ – رسم صورة عملية لتفادي أسباب الخطأ في المفاهيم.

التمهيد

اشتمل التمهيد عرضًا لأهم مصطلحات البحث، حيث يحتوي البحث على جملة من المصطلحات وهي: المفهوم، الخطأ، الأسباب، وبيانها كالتالي:

أولًا: المفهوم في اللغة والاصطلاح:

أ- في اللغة:

مادَّة (ف هـ م) في معجم العين[1]، ومعجم مقاييس اللغة[2]، ومعجم لسان العرب[3]، لا تتجاوز ثلاثة معانٍ، وهي كلها مجرَّدة، وهذه المعاني الثلاثة هي: المعرفة، والعقل، والعلم، يقال: فهمتُ الشيء، أي: عرَفتُه وعقَلتُه وعلمتُه.

والصيغة التي ورد بها المفهوم: اسم مفعول، ومن المعاني المستفادة من صيغة المفعول: أنَّ المفهوم، هو نتيجة حاصلة؛ أي: ما يصبح به الشيء معروفًا لدي. والمفهوم ليس محصورًا فيما عبَّر عنه باللفظ؛ فهو أوسع، فيمكن أن يكون لفظًا، أو نصًا، أو حدثًا، ويمكن أن يكون مصرَّحًا به أو غيرَ مصرَّح به.

---

[1] - العين"؛ الخليل بن أحمد الفراهيدي (تـ١٧٠هـ)، تح: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، بقية حرف الهاء، ج٤، ص ٦١، دار الهلال

[2] - مقاييس اللغة أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسن، كتاب الفاء، باب الفاء والهاء وما يثلثهما، ج ٤، ص (٤٥٧)،تحقيق : عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

[3] - لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري جمال الدين أبو الفضل، كتاب الميم، فصل الفاء، مادة (ف ه م)، ج ١٢، ص (٤٥٩، ٤٦٠)، دار صادر - بيروت، ط ٣: ١٤١٤هـ.

ب – في الاصطلاح:

عرَّفه أبو البقاء الكفوي (تـ ١٠٩٤هـ) في الكليات بقوله:

"المفهوم: هو الصورة الذهنية، سواء وضع بإزائها الألفاظ أو لا".[١]

ومن أشهر التعاريف المتداولة للمفهوم، قولهم: "المفهوم معناه المنطقي هو مجموع الصِّفات والخصائص التي تحدِّد الموضوعات التي ينطبق عليها اللفظ تحديدًا يكفي لتمييزها عن الموضوعات الأخرى؛ فمفهوم الإنسان بالمعنى الأرسطي – مثلًا – هو أنَّه حيوان ناطق، وماصدقاته هم: أحمد ومحمد، وسائر أفراد الناس.[٢]"

ويوجد تداخلٌ وربما التباس بين المفهوم والمصطلح. فمن تعريفات المصطلح أنه: هو "تعريف يختص بالألفاظ التي تتصل بمجال من المجالات المعرفية في العلوم الطبيعية أو الإنسانية لدى جماعة من الباحثين في ميدان معين[٣]"

---

[١]- بناء المفاهيم (المقاربة المفاهيمية)؛ إعداد الأساتذة: محمد بن يحيى زكريا، وحناش فضيلة، وزارة التربية الوطنية - الجزائر، ٢٠٠٨. ص (١٧).

[٢] - بناء المفاهيم؛ دراسة معرفية ونماذج تطبيقية الجزء الأول: إبراهيم بيومي، أسامة محمد القفاش، السيد عمر...، إشراف علي جمعة محمد، وسيف الدين عبدالفتاح إسماعيل،، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - القاهرة: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م. ص (٣١).

[٣] - تقنيات التعريب بالمعاجم العربية المعاصرة. د/ حلام الجيلالي: (منشورات اتحاد الكتاب العرب) ١٩٩٩، ص: ١٣٧.

وقيل: الاصطلاح: لفظٌ معيَّنٌ بين قومٍ معينِين".[1] وهو المعنى الذي نجده يشير إليه الباحث الدكتور محمود فهمي حجازي أيضا والذي نقله عن بعض الباحثين الأوروبيين حيث يقول عنه:(إنه كلمة لها في اللغة المتخصصة معنىً محددًا وصيغة محددة...وهو كلمة أو مجموعة من الكلمات من لغة متخصصة علمية أو فنية يوجد موروثًا أو مفترضًا ويُستخدم للتعبير بدقةٍ عن المفاهيم ويدلُّ على أشياءَ مادية محددة)[2]

- **الفرق بين المفهوم والمصطلح**

وممن فصَّل في الفرق بين المفهوم والمصطلح الباحثة "سعاد كوريم" في بحثٍ لها، فقالت ما ملخصه:

"ما يميز المصطلح عن المفهوم هو أنَّ المصطلح تتوفَّر فيه خصِّيصتان اثنتان دون المفهوم؛ وهما: حصول الاتِّفاق، وبلوغ مرحلة النُّضج، والخِصِّيصة الأولى نجدها حاضرةً عند من عرَّف المصطلح، ولا يشترط أن يكون المصطلح ناشئًا عن اجتماع طائفة من العلماء واتِّفاقهم على دلالة لفظةٍ على معنًى معيَّنٍ، بل من الراجح أنَّ المصطلح ينشأ على يد عالمٍ من العلماء، ثم يأخذ طريقَه إلى الشيوع؛ فإمَّا أن يستقرَّ ويثبُتُ ويشيع بين العلماء، وإمَّا أن يُترك ويُستعَاض بغيره عنه.

ومن هذا المنطلق نخلص إلى أنَّ المصطلح يقوم على الاتفاق، مباشرًا أو ضمنيًّا أو تاريخيًّا؛ وأنَّ مصدر المصطلح هو الجماعة.

---

[1] -التعريفات، باب الألف، تراجع: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١: ١٤٠٥ هـ - ١٩٧٥م. ص (٢٨).

[2] - الأسس اللغوية لعلم المصطلح، محمود فهمي حجازي مكتبة غريب د ت ص ١١.

فالاتفاق إذًا معيار يُكسِب المصطلح صفته الاصطلاحيَّة، ومن دونه نكون أمامَ مفهوم متنازَع فيه؛ ويعني ذلك أنَّ ما قبل الاتفاق يُسمَّى مفهومًا، وما بعده يُسمَّى مصطلحًا، وعلى هذا الأساس فقد استعمل لفظ المصطلح للدلالة على ما هو متَّفَق عليه، بينما استعمل لفظ المفهوم للدلالة على ما هو مختلف فيه.

أمَّا الخِصِّيصة الثانية (النضج) التي يتميَّز بها المصطلح عن المفهوم، فتعتبرها "كوريم" شرطًا أساسيًّا في حصول خِصِّيصة الاتفاق، فالمصطلح يكتسب صلاحيته حين يحظى بالاتِّفاق، ويصبح متفقًا عليه حين يبلغ ذروة النُّضج، فبالنضج إذًا يحقِّق المصطلح وجودَه، فحين يغيب النضج نكون أمام لفظٍ لغوي مجرَّدٍ عن أي حمولة مفهومية مصطلحية، وعندما يحضر النضج حضورًا غيرَ تامٍ، فإنَّ اللفظ اللغوي يتحوَّل إلى مفهوم، أمَّا إذا كان النضج كامل الحضور، فإنَّ اللفظ أو المفهوم ينتقل إلى رتبة المصطلح.[1]

ثانيا الأسباب: السبب هو الحبل وكل شيء يتوصل به إلى غيره[2]. وقيل هو الذي يتوصل به إلى الماء ثم استعير لكل ما يتوصل به إلى شيء.[3]

---

[1] - "الدراسة المفهومية: مقاربة تصورية ومنهجية"؛ سعاد كوريم، (ابتداء من الصفحة ٤٠) مجلة إسلامية المعرفة، السنة الخامسة عشرة، العدد ٦٠، ربيع ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

[2] - مختار الصحاح، زين العابدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي ، تحقيق يوسف الشيخ محمد ، ط: المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ج١، ص:١٤٠.

[3] - لسان العرب، ابن منظور، د١، ص:٤٥٩. مرجع سابق.

كقوله تعالى:{ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ }[البقرة:١٦٦] ويقصد به في هذا البحث ما يوصل للخطأ في المفاهيم.

ثالثا: الخطأ:

الخَطَأ ضد الصواب والجمع خطايا والمُخطِئ من أراد الصواب فصار إلى غيره والخَاطِئُ من تعمَّد مالا ينبغي. وتَخَطَّأَ له في المسألة أَخْطَأَ[1] وأخطأ الطريق عَدَلَ عنه. وأخطأ الرامي الغرض: لم يصبه. والمقصود به في هذا البحث هو الصيرورة إلى معنى غير صحيح للمفاهيم.

[1] - مختار الصحاح ج١/ص:٩٢، مرجع سابق.

مؤتمر
كلية
الدراسات
الإسلامية

المبحث الأول: الأسباب الذاتية الداعية للخطأ في المفاهيم

الخطأ في المفاهيم آفة معرفية تتبعها آفات سلوكية، قد يكون مصدرها الإنسان ذاته أو عوامل خارجة عنه. لكنها لها تأثير على فكره ووعيه، وتتعدد العوامل الذاتية بين نفسية وفكرية، وأخرى ثقافية واجتماعية وبيئية. كما تتنوع مصادر الخطأ في المفاهيم بالنسبة للفرد الواحد تبعًا لطبيعة الفرد ذاته، وكذلك تبعًا للمجتمع الذي يعيش فيه من حيث قوة الدافع لهذا الخطأ ومدى تأثيره عليه. وتجديد الخطاب الديني يحتاج بيانًا لهذه العوامل؛ لأنه البداية الحقيقية لتحقيق التجديد الديني لأهدفه، فالتخلية تكون قبل التحلية. وبيان ذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول: العوامل النفسية

المطلب الثاني: العوامل الفكرية

المطلب الثالث: العوامل الثقافية

المطلب الرابع: العوامل الاجتماعية

المطلب الأول: العوامل النفسية

يمثل بيان العوامل النفسية المسببة للخطأ في المفاهيم أهميةً بالغةً؛ نظرًا لبحثه عن عوامل داخل الإنسان غير منظورة، وإنما تُعرف من خلال آثارها. كما أن علاجها يحتاج معرفةً بخصائص النفس البشرية وكيفيَّة التعامل معها. وتتعدَّد العوامل النَّفسية المسبِّبة للخطأ في المفاهيم، ويرى الباحث أنها ترجع لعاملين اثنين: اتباع الهوى والتعصب، وبيانهما كالتالي:

١ – اتباع الهوى.

إن اتباع الهوى يرسخ مفاهيم مغلوطةً كثيرةً، ولا يدع فرصةً للمراجعة ولا التصحيح، ويمدُّ صاحبه بمساحةٍ واسعةٍ من التعلُّق بهذه المفاهيم. والتي تُمثِّل سدًّا منيعًا أمام أي حركة تجديدية تعمل على خلخلة هذه المفاهيم والعمل على تقويمها. فاتِّباع الهوى مَظِنَّة ترك الحق وعدم الانصياع له، وهو عقبة أمام كلِّ حركةٍ تبغي الإصلاح والتجديد.

ولقد حدث هذا في التاريخ القديم والحديث على السواء، مما أحدث شقاقًا في الأمة ونزاعًا لا تزال أصداؤه حاضرةً حتى اليوم، وصار اتباع الهوى سبيلاً ممهَّدًا لتقبل الغلو في المعتقدات والمفاهيم بما يتوافق مع ما يوافق الهوى والنفسية المضطربة.

فمما يُلاحظ "اختلاف أنفس وطبائع البشر، وتتنوع محدداتهم النفسية، ما بين ليّن هين، وما بين قاس غليظ الطبع، وما بين متوسط بين هذا وذاك، والمتأمل في حركة" التَّفَرُّقِ "التي حصلت في الأمَّة الإسلاميَّة، والنظر في سمات الفرق، وحركات الغلو والتَّكفير وغيرها في القديم والحديث – يجد أنَّ النفس "الغالية" هي نفس مهيَّأة ابتداء إلى تقبُّل" الغلو"، فبدايتها مع البعد النفسي، ثم تتكلف في تأصيل غلوها بتلْفِيقات فكريَّة: حتَّى تطمئنَّ بأنَّ طريقها صحيح، فالخوارج قديمًا أو حاليًّا يمتازون بالجفاء في المعاملة حتَّى قبل اعتناقهم للآراء الخارجية، فخوارج العصر الأوَّل استهوتْهم فكرة البراءة من عثمان وعليّ وبني أمية؛ حتَّى احتلت أفهامَهم وملكت عليهم عقولَهم، وسدَّت كلَّ بابٍ للمراجعة، فمَن تبرَّأ من عثمان وعلي وطلحة والزُّبير، سلكوه في جمعهم وأضافوه إلى عددهم، وتسامحوا في مبادئ أُخَرى كانت حال التدقيق أخطر من البراءة تلك، ولمَّا خرج ابن الزُّبير على الأُمَويين ناصروه، فلمَّا علِموا أنَّه لا يتبرَّأ من أبيه ومَن تبرؤُوا

هم منه، نابذوه، وشهدوا لعمر بن عبدالعزيز بالحكم الرَّاشد والعدل في الرعية، لكن حال بينهم وبين القبول بالطَّاعة له هذه البراءة.[1]

يقول عنهم العلامة أبو زهرة – رحمه الله– "إنَّهم ليشْبِهون في استِحْواذ الألفاظ البرَّاقة على نفوسهم، واستيلائه على مداركِهم – اليعقوبيِّين) فرقة نصرانيَّة (الَّذين ارتكبوا أقسى الفظائع في الثَّورة الفرنسيَّة، فقد استوْلت على هؤلاء ألفاظ) الحرية والمساواة والإخاء (وباسمها قتلوا النَّاس، وأهرقوا الدماء، وأولئِك استولت عليهم ألفاظ" لا حكم إلا لله "و" البراءة"، وباسمها أباحوا دِماء المسلمين، وخضبوا البلاد بها، وشنُّوا في كلِّ مكان غارات، وكانت الحماسة وقوَّة العاطفة ميزةَ اليعقوبيين والخوارج[2]."

ومن الأمثلة على اتباع الهوى ودوره في الخطأ في المفاهيم تكفير الناس وتفسيقهم دون حجة واضحة ولا دليل شرعي مبين، "والحقيقة أن الأصل في الحكم بالتكفير والتفسيق ليس مرده إلى الهوى؛ بل هو أمر يتعلق بالحكم الشرعي الذي مرده إلى الكتاب والسنة، أي هو إلى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، فيجب التَثَبُّت من ذلك غاية التَثَبُّت، فلا يَكْفُرُ ولا يَفْسُقُ إلا من دلَّ الكتاب والسنة على كفره أو فسقه دلالةً قاطعةً واضحةً. والأصل في المسلم بقاءُ إسلامِه، حيث يتحقق زوالُ ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي، ولا يجوز التساهلُ في تكفيره أو تَفْسِيقِه؛ لأن في ذلك محذوريْن عظيميْن:

الأول: مخالفة حكم الله وشرعه.

---

[1] - نفسية الخوارج، بليل عبد الكريم، موقع الألوكة، http://www.alukah.net

[2] - تاريخ الجدل، الشيخ محمد أبو زهرة، ص:١٤٦.

والثاني: الوقوع في خطأ فاحشٍ بالحكم على مسلم بهذا الحكم الشديد فيه. ففي صحيحي البخاري ومسلم عن عبد الله بن رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه سلم قال: (إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما))[1]، وعلى هذا فيجب قبل الحكم على المسلم بكفر أو فسق أن يُنْظر في أمرين:

أحدهما: دلالة الكتاب أو السنة على أن هذا القول أو الفعل موجِب للكفر أو الفسق.

الثاني: انطباق هذا الحكم على القائل المعين أو الفاعل المعين، بحيث تتم شروط التكفير أو التفسيق في حقه وتنتفي الموانع.)[2]

ولخطر اتباع الهوى على الإنسان حذَّر القرآن الكريم من اتباعه في مواضع ستة؛ لأنه يعمي ويصم، ويفقد الإنسان التَّعقل والاستفادة من العلم الذي وهبه الله إياه، بل يجعل الحواس كالعدم، لا أثر لها ولا فائدة منها، فالهوى يهوي بصاحبه لدركة أدنى من الحيوان منزلةً. وقد جعل الله اتباعَ الهوى سبيلاً للضلال والردى، قال الله تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [الجاثية:٢٣]

---

[1] - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت ج١، ص: ٧٩ رقم ١١.

[2] - الخطأ في ضبط مفاهيم شرعيه هامة – دراسة تحليلية – أعداد د/ عبد السلام داود العبادي – رابطة العالم الإسلامي بحث مقدم إلى المؤتمر الإسلامي العالمي مكافحة الإرهاب – الذي تنظمه رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة- ٦-٣ / جمادى الأولى /١٤٣٦هـ، الموافق: ٢٢-٢٥ فبراير / ٢٠١٥،ص 33

وقال سبحانه: {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [القصص: ٥٠]. وقال عز وجل: {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا () أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا} [الفرقان: ٤٣،٤٤] وقال عز من قائل: {فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى} [طه: ١٦].

وقال تعالى: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف: ٢٨]

وقال تعالى: {وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الأعراف: ١٧٦]

فمن سبل الإصلاح الجادة لتفادي آثار المفاهيم المغلوطة أن ينزع المرء من نفسه داعي الهوى، وأن يتجرد للحق، وأن كل مؤسسة دعوية ترغب في تجديد خطابها الديني لابد أن تدعو الناس إلى التجرد من دواعي الهوى حتى لا يقف عقبة كؤودًا أمام كل دعاوى التجديد.

٢ – التعصب"

يُعَدُّ التعصب من الأسباب الدافعة إلى الخطأ في المفاهيم، والذي يمثل عائقًا أمام عملية تجديد الخطاب الديني، "فالتعصُّب ظاهرةٌ اجتماعيَّة شديدة الخطورة، وبخاصَّة عندما يتَّخذ أشكالاً عدوانيَّة عنيفة سافر. وهو قديمٌ في التاريخ البشري، ومستمرٌّ في أيَّامنا، في العلاقات بين الأمم والقوميَّات، والعلاقات بين الأديان والطوائف الدينيَّة، والعلاقات بين

المذاهب والتنظيمات السياسيَّة، والعلاقات بين الجماعات الصُّغرى والمحليَّة) [1]

ويشتد خطر التعصب عندما يتعلق بالفكر حيث "تتغَلَّب فكرةٌ ما على عقل إنسان، يجعلُها تسيطِرُ على تفكيرِه، فتدرأ مُناقَضَاتها، وتمنعُ مُضادَّاتها، والبعض يصلُ به الحال إلى أنْ تسيطرَ عليه، وتجتاز الإدراك إلى الأعصاب، فيَثُورُ كلَّما عُرِضَ غيرُها، ويُغْلَقُ عليه كلَّما رُوجِع فيها، فلا يقبل حتى النظَر فيما دُونها، لا يُقلب النظَر في دليلها، ولا يقبل نظرًا في دليلٍ لغيرها، ولا يتمعَّن في رأي مخالف، وتأخُذه روح عدائيَّةٌ إلى درجة الانفجار على خَصمه، ومنشأ هذا التعصُّب، ودافعه تهيج في الأعصاب، وفي الأكثر يَنقاد المتعصِّب إلى التطرُّف في رأيه ومعتقده على جانبين؛ إمَّا الإفراط، وإمَّا التفريط، والحسنة بين سيِّئتين، فلا يقبل أهل الترف غير التعصُّب لموروثاتهم، ولا أهل الغلوِّ الرجوع عن حميَّتهم.) [2]وكل ذلك لتعصب في الرأي أزال الحكمة والروية، وأعمى العين عن رؤية الحق. وهذا بدوره يمنع من التجديد المرغوب للخطاب الديني بل يحاربه ويعارضه.

ويصل حدُّ التعصب لمداه عندما يُغالي المرء في اعتقاد صحَّة ما يراه، ويستغرق في نفي ما عداه، ويعمل جاهدًا على حمل الناس على ما يؤمن به، ويقودهم إلى رأيه ولو بالقوة، مدَّعيًا صواب ما عنده وخطأ ما عند الآخرين، مستشعِرًا الكمال في ذاته والنقص فيمن سواه، وقد يميل لقول

---

[1] - أضواء على التعصب"؛ أديب إسحاق، جمال الدين أفغاني، ومجموعة من الباحثين، دار الأمواج - بيروت، ط(١)، ١٩٩٣، ص٧

[2] - التعصب بليل كريم http://www.alukah.net..

يُنْشِئُه هو ابتداءً، أو تقول به جماعته أو طائفته أو قومه، دون دليلٍ يسعفه أو حق يُؤَيِّده.

فقائد المتعصب هواه، ومعيار الحق عنده هو ما عليه جماعته، تراه يدافع عن الباطل رغم ظهور بطلانه، ويزهد في الحق رغم وضوح برهانه، ولا يعنيه ما يبطله من دين الناس ولا ما يفسده من دنياهم.

ويصل المتعصب لمنتهاه ومدى خطورته عندما يتعصب لرأيه ويفرضه ويعرضه على أنه الإسلام الذي نزل من عند الله. إن هذا لا يصح من آحاد الناس حتى ولو كان مجتهدا؛ لأن اجتهاد المجتهد هو رأيه الذي فهمه من خلال النَّص. وقد يصيب وقد يُخطئ في فهمه لكتاب الله أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ورحم الله الإمام أبا حنيفة إذ يقول لصاحبه أبي يوسف" ويحك يا يعقوب! لا تكتب عليّ كل ما تسمع مني؛ فإني قد أرى الرأي اليوم وأتركه غدًا وأرى الرأي غدًا وأتركه بعد غد"[1] ولذلك،"إذا تعصب المجتهد لرأيه وفرضه على الإسلام فقد يؤدي به الحال إلى أن يُلصق بالإسلام ما لا يقول به الاسلام نفسه، فيضيف إلى الصورة الإسلامية خطأً من عنده، وهذا من مظاهر التعصب الممقوت الذي يُغيِّر المفاهيم، وهو التحيُّز والتعصب للرأي الشخصي، وتحويلِهِ من مجرد رأي لصاحبه إلى كونه هو الإسلام الذي نزل به الوحي المبين. ومن الأمثلة على هذه الصور ما نلاحظه من مفاهيم غير صحيحة منسوبة إلى الإسلام، وقد يسهل الأمر حينما يُقال: هذا هو رأي فلان الذي فهمه عن

[1] -فقه الاختلاف صراط الأخوة والائتلاف د عبد السلام بن مقبل المجيدي ط الدوحة الحديث المحدودة ٢٠١٣م نقلا عن (تاريخ ابن معين "رواية الدوري" ج٣/٥٠٤) ص:٦٥

الأمر الفلاني من الإسلام، ولكن الخطر حينما قال: هذا هو الحكم الإسلامي قطعاً، وكل رأي مخالف له من الآراء والاجتهادات التي لها وجه من النظر ضلال وكفر.[1] ولذلك جاء ذم التعصب والتنفير والتحذير من الانقياد للرأي دون رويَّة ولا نظر في قوله تعالى:{ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ }[الزخرف:٢٢،٢٣]

كذلك يُعد الجمود من الآثار المقيتة للتعصب لمفهوم معين أو رأي دون سند من دليل، والتي تعد بابًا من أبواب الخطأ في المفاهيم، فهذا الجمود على مفاهيم معينة "يُفضي إلى تقييد التعاليم الإسلامية في حدود تطبيقات زمنٍ معينٍ، وبيئةٍ معينةٍ، جموداً عن ظواهر بعض النصوص أو التطبيقات الزمنية، مع أن أسس التعاليم الإسلامية واسعة على قدر اتساع قضايا الحياة ومشكلاتها، وهي صالحة لكل زمن وبيئة، وملائمة للفطرة الإنسانية.[2] وهذا سبب عظيم من أسباب الخطأ في المفاهيم، والتي تؤدي إلى عدم الاستجابة لدواعي التجديد البنَّاء الذي يحافظ على ثوابت الإسلام ويجدد في الآليات المنوطة بالتنفيذ، أو ببعض المفاهيم التي تستوعب مستجدات الحياة ومشكلاتها المستحدثة.

---

[1] حول مفاهيم المسلمين للإسلام .من كتاب: صِرَاعُ مَعَ المَلاحِدَة حتى العظم. تأليف. عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني. تحت عنوان "نقد الفكر الديني " ص٧ كتاب منشور إلكترونيا.www.anti-el7ad.com

[2] حول مفاهيم المسلمين للإسلام – ص١٤، مرجع سابق.

المطلب الثاني: العوامل الفكرية

تعد العوامل الفكرية المسببة للخطأ في المفاهيم من الأهمية بمكان، لأنها تحتاج لجهد لتصحيحها وتعديها، خاصة عندما تصل بأصحابها إلى درجة من اليقين والإيمان تجعل صاحبها يضحى بنفسه وما بملك في سبيلها. وتتعدد هذه العوامل، ومنها:

١- النظرة الحزبية أو الجزئية للنصوص

فمن عوامل الخطأ في المفاهيم هو الخطأ في فهم النصوص حيث يبدو" النظر الضيق المحدود للنصوص، والذي يلازمه النظر إلى جوانب خاصة مُعيَّنة من الإسلام واعتبارها هي الإسلام كله. ومن الطبيعي أن يُسئ هذا النظر الضيق المحدود إلى المفاهيم الإسلامية الشاملة إساءةً بالغةً، ويُفضي إلى تعظيم الأمور الصغيرة وتهويل شأنها، وإلى تصغير الأمور الكبيرة وتهوين شأنها".[١] وفي التاريخ السلامي دلالةٌ على ذلك في تاريخ الخوارج وفهمهم للنصوص القرآنية وتجزئتهم للمبادئ الإسلامية بما يتوافق مع تحزبهم ويتماشى مع فكرهم. قال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن عيسى الطباع، حدثني يحيى بن سليم، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن عبيد الله بن عياض بن عمرو القاري، قال: جاء عبد الله بن شداد، فدخل على عائشة -ونحن عندها مرجعه من العراق ليالي قتل علي -فقالت له: يا عبد الله بن شداد، هل أنت صادقي عما أسألك عنه ؟ تحدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي .قال: وما لي لا أصدقك . قالت: فحدثني عن قصتهم . قال: فإن عليا لما كاتب معاوية وحكم الحكمان، خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس فنزلوا بأرض يقال لها:

[١] المرجع نفسه – ص١٤

حروراء .من جانب الكوفة، وأنهم عتبوا عليه، فقالوا: انسلخت من قميص ألبسكه الله، واسم سماك به الله، ثم انطلقت فحكمت في دين الله ولا حكم إلا لله . فلما أن بلغ عليا ما عتبوا عليه وفارقوه عليه، فأَمَرَ فَأَّذَنَ مُؤَذِنٌ: أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجل قد حمل القرآن . فلمّا أن امتلأت الدار من قرَّاء الناس، دعا بمصحف إمام عظيم، فوضعه بين يديه فجعل يصكه بيده، ويقول: أيها المصحف، حدِّث الناس ! فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه ! إنما هو مداد في ورق، ونحن نتكلم بما روينا منه، فماذا تريد ؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا، بيني وبينهم كتاب الله، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا }[النساء: ٣٥] . فأمة محمد، صلى الله عليه وسلم، أعظم دما وحرمة من امرأة ورجل، ونقموا عليَّ أن كاتبت معاوية: كَتَبَ عليُ بن أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بالحديبية حين صالح قومَه قريشا، فكتب رسول الله، صلى الله عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل: لا أكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال: " كيف نكتب ؟ " . فقال: اكتب باسمك اللهم . فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: " فكتب: هذا ما صالح عليه محمدُ بن عبد الله قريشًا .يقول الله تعالى في كتابه: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا }[الأحزاب: ٢١] فبعث إليهم عبد الله بن عباس فخرجت معه، حتى إذا توسطت عسكرهم قام ابن الكواء يخطب الناس فقال: يا حملة القرآن، هذا عبد الله بن عباس فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه، هذا ممن يخاصم في كتاب الله بما لا يعرفه، هذا ممن نزل

فيه وفي قومه { بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ} [الزخرف: ٥٨] . فَرُدُّوه إلى صاحبه ولا تُواضِعُوه كتاب الله . فقال بعضهم: والله لنواضِعنَّه، فإن جاء بحق نعرفه لَنَتبَعنَّه، وإن جاء بباطل لنبكتنَّه بباطله . فواضعوا عبد الله الكتاب ثلاثة أيام، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب، فيهم ابن الكواء، حتى أدخلهم على عليٍّ الكوفة، فبعث عليٌ إلى بقيتهم فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم، فقفوا حيث شئتم حتى تجتمع أمة محمد، صلى الله عليه وسلم، بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دما حراما، أو تقطعوا سبيلاً، أو تظلموا ذمَّة، فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ} [الأنفال: ٥٨] . فقالت له عائشة: يا ابن شداد فقتلهم ؟ فقال: والله ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل، وسفكوا الدماء، واستحلوا أهل الذمة . فقالت: آلله ؟ قال: آلله الذي لا إله إلا هو لقد كان ذلك.[1] فهذا مثال صارخ في التاريخ على الإيمان الفكري بمفاهيم خاطئة حملهم عليها تحزبهم واجتماعهم على رأى اعتنقوه ودافعوا عنه حتى ماتوا في سبيله. ولهم في التاريخ مخازي كثيرة تدل على الخطأ بالمفاهيم ومن ذلك ما فعلوه مع عبد الله بن الأرت وواصل بين عطاء.

(الخوارج وقتل عبد الله بن الأرت وموقفهم مع واصل بن عطاء)

[1] - البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي القرشي ط دار عالم الكتب ج: ١٠ ً: سنة النشر ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م. ص: 565.

٢ – التنشئة الفكرية المشوّهة.

لقد عانت المجتمعات الإسلامية ولا زالت من العقول التي تربيت على موائد الغرب– قبل أن تنهل من معين الثقافة الإسلامية ما يقيها شر تشرب المفاهيم الغربية دون وعي، ودون وإدراك لمغايرتها للمفاهيم الإسلامية ومعارضتها لها. وصار هؤلاء عقبةً أمام كلِّ حركةٍ تجديديَّة وإصلاحيَّة يتم الدعوة إليها في المجتمعات الإسلامية. فهم يبذلوان قصارى جهدهم لإقرار ما اعتنقوه من مفاهيم وما آمنوا به من مبادئ، وينقلونها للمجتمع المسلم بعجرها وبجرها. ولذلك صار من عوامل مشكلة "الخطأ في المفاهيم أنها" تنشأ عندما يتم نقل هذه المفاهيم من مجتمع إلى آخر يختلفان ثقافة ولغة وعقيدة ونمط حياة ومستوى حضارة، ذلك أن استنبات المفاهيم في بيئة حضارية مغايرة لا يؤتي نفس الثمار التي آتتها في بيئتها الأولى، وهو ما أطلق عليه الشيعي علي شريعتي "جغرافية الكلام". بل الخطير في الأمر أن تصبح المفاهيم الغربية معيارًا قياسيًّا Standard تُفهم به كل الظواهر الاجتماعية والاقتصادية الثقافية وحتى الدينية في البيئة المسلمة".[١] "ومثل ذلك حديث الدكتور نصر أبو زيد عن ((الحرية))– باعتبارها المبدأ الكلى الثاني في مقاصد الشريعة– فليس هناك خلاف على المبدأ، فلقد أضاف الشيخ الطاهر بن عاشور إلى المقاصد الخمسة ((مقصد الحرية)).. لكن تظل الحاجة قائمة وماسة لتحرير مردانا بمضمون مفهوم ((الحرية))..

[١] - المفاهيم الملتبسة بين الطرح العلماني والفكر الإسلامي أزمة تحديد المصطلحات الغربية وآليات توظيفها! ضبط المصطلحات مطلب شرعي وعلمي مولاي المصطفى البرجاوي ص:٢١

وإذا كانت الحرية هي نقيض((العبودية))، فلابد من تحديد: حرية مَنْ؟.. وفي مواجهة العبودية لمَنْ؟.. فالمؤمن يرى في ذل العبودية لله قمة الحرية.. وهذه الحرية هي عكس ما يراه الماديّون و الوضعيّون ؟! والإنسانة المؤمنة لا ترى في حقوق الله في ((العِفَّة)) قيودًا تنتقص من حريتها.. بينما غير المؤمنة ترى في ((العِفة) استعبادًا فترفع شعار الحرية الجنسية، قائلة – كما في بعض المجتمعات المعاصرة: هذا جسدي وأنا حرة فيه.[1]

فالخطأ هنا في مفهوم الحرية جاء نتيجة لتشرُّب هذه المفاهيم بصورتها الخاطئة من بيئة ويتم التسويق له ونقله من بيئة مغايرة للبيئة الإسلامية دون توجيه وبيان وإظهار لما يحمله من معانٍ مغايرةٍ لما جاءت به الشريعة الإسلامية ولا تتفق مع مبادئ الشرع وأحكام الإسلام، ولذلك يسعى هؤلاء الأذناب لتمرير هذه المفاهيم وتسويقها بما يتوافق مع مفهومهم لهذه المبادئ.

٣- الغلو في الدين غير الحق

إن الغلو في الدين لا يختص بأمة دون سواها، ولادين دون غيره، ولا ببلد معين في القديم أو الحديث، إنما هو اتجاه فكري يتعين عانت منه الأمم قديمًا وحديثًا وتعاني منه المجتمعات الإسلامية بصورة واضحة وله خطره المؤكد علة المجتمعات، لأنه يُفضي "إلى تشدُّدات منفِّرة، وتعنُّتات ومبالغات لا يرضاها الدين ولا يقبلها، بل يتنافى معها، فالدين يسر سمح، وهو دين الفطرة، والغلو في الدين ينافي سماحته ويسره، وينافي ملاءمته

[1] - المصطلحات بين الإسلام و الغرب، د محمد عمارة، ص ١٦ مرجع سابق.

للفطرة الإنسانية، وفي كلام الرسول صلوات الله عليه "هلك المتنطعون[1]" وهم المغالون في الدين.[2] ومن الأمثلة على أن الغلو في الدين من أسباب الخطأ في المفاهيم هو: الخطأ في مفهوم الجهاد.

فقد تعرض مفهوم الجهاد في الإسلام لتشويه بالغ من أعداء الإسلام ومن بعض معتنقيه على السواء، وبخاصة عن الحديث عن "علاقته بمفاهيم السلام والعدل ومنبع الظلم والعدوان، فقد نظَّم الإسلام كل ما يتعلق بالحرب من حيث أسبابها وأهدافها وكيفية إعلانها في إطار نظر إسلامي راشد يقوم على تعانق مفاهيم السلام والعدل ومنع الظلم والبدء بالعدوان، وإن إيضاح العلاقة بين مفاهيم السلام والعدل بشمولها وتعدد جوانبها ومجالاتها مع مفهوم الجهاد أمر في غاية الأهمية، ويدفع إلى العناية بهما معًا؛ فلن تنجح محاولات تحقيق السلام في أي صراع أو خلاف أو نزاع دون أن يرافق ذلك حلول عادلة للمشكلات المطروحة؛ تجتث أسباب المشكلة من جذورها على أسس موضوعية أمينة صادقة تعطي لكل ذي حق حقه، وإن هذه العلاقة من وجهة نظر إسلامية تظهر في تأكيد الإسلام على أن الحرب مشروعة في الإسلام لأسباب محددة؛ أساسها حماية الحقوق، وصيانة قواعد العدالة دون عدوان أو ظلم"[3] وعلى ذلك "فإنه لا معنى للمطالبة بالسلام مع وجود أي مظهر من مظاهر العدوان، وإلا فذلك استسلام للظلم والعدوان، وضياع للحقوق، وتشجيع لقوى الباطل والشر.

---

[1] صحيح مسلم ، باب هلك المتنطِّعون، ج/٤ص:٢٠٥٥، رقم ٢٦٧٠.

[2] حول مفاهيم المسلمين للإسلام – ص.١٣ مرجع سابق.

[3] الخطأ في ضبط مفاهيم شرعيه هامة – ص 10

إن هناك مبادئ وأسس وهي: "أن الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هو السلم، وأن الحرب ضرورة تقدر بقدرها، فهي ليست مشروعة لذاتها، بل لها دوافعها وأسبابها المحددة، فقد حدد الإسلام أسباب الجهاد، فلا عدوان حيث لا عدوان، بل تجب المودة والمعاملة بإحسان والالتزام بمبادئ الرحمة والعدالة، قال تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ } [البقرة ١٩٣][1]

لكن أعداء الإسلام جعلوا من مفهوم الجهاد سبَّة للدين الإسلامي، وساعدهم على ذلك قلة قليلة العدد كثيرة الصخب من المسلين جعلوا الجهاد عدوانًا على الآمنين، وترويعًا للناس كافة مسلمين وغير مسلمين، وذلك لغوهم في دينهم وعدم فهمهم لمفاهيم إسلامهم.

ومن الأمثلة على الغلو في المفاهيم والغو في تطبيق معانيها مفهوم الولاء والبراء حيث صار المفهوم عند الغالين الناس عدوانًا على الإنسانية وإساءةً في معاملة الخلق.

إن الهدف من تعميق الولاء لله تعميق الولاء بين المؤمنين، ورفض أن يكون هناك تعاون مع غير المسلمين يعكس ولاءً لهم دون الولاء للمؤمنين؛ قال تعالى { أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا } [الكهف ١٠٢]، فالولاء لله لا يعنى معاداة غير المسلمين، ولا قطع العلاقات معهم، ولا عدم الإحسان إليهم وبّرهم والعدل معهم تنفيذًا لقوله تعالى: { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } [الممتحنة ٨] .

[1] الخطأ في ضبط مفاهيم شرعيه هامة،ص ٢٠

المطلب الثالث : العوامل الثقافية

إن مهمة الثقافة الإسلامية هي تجديد صلة المسلم بالإسلام بمفهومة الثقافي الحياتي السلوكي الشامل، وبوصفة عقيدة وشريعة ومنهج حياة خاص ومتميز. لأن هذا المفهوم كاد أن يتحول أو يتلاشى أمام المفهوم الغربي للدين ونظرة الغرب إليه، وللمناخ العلماني الذى ساد بعض المجتمعات الإسلامية في الآونة الأخيرة.

كما تهدف الثقافة الإسلامية إلى إعادة الفاعلية والتوازن والتأثير للشخصية الإسلامية المعاصرة، ولا يمكن أن تبرز الشخصية الإسلامية إلا من خلال الثقافة الإسلامية، والتي تأثرت بالمد الثقافي للحضارة الأوروبية على حساب الحضارة الإسلامية، كما تأثرت بما نمارسه نحن المسلمين ضد أنفسنا مما يمثل ردةً ثقافيةً تحُول دون تتبوأ الثقافة الإسلامية الحق مقامها في الريادة والقيادة والفاعلية، والتأثير في العالم. ولذلك توجد أسباب ثقافية للخطأ في المفاهيم ومنها:

١ – استخدام المفاهيم بنظرة مغايرة للفكرة الإسلامية

من عوائق التجديد الديني المطلوب استعمال المفهوم دون بيان معناه وفحواه مجتزأ من سياقه، حيث يختلف المفهوم للمصطلح الواحد بين البيئات المختلفة تبعًا لثقافة هذا الإنسان ومرجعيَّته. وتتنوع درجة الاختلاف بين اختلاف كلي وآخر جزئي للمصطلح ذاته، وهذا يسبب خطأ في المفاهيم وطريقة تلقِّيها عند جمهور المستمعين.

ومن الأمثلة الواضحة على التباين بين المفاهيم تبعًا للمقصود من المصطلح عند أتباع حضارتين متغايرتين في ثقافتيهما مصطلح (الشارع) وما ينتج عنه من مفاهيم، وقد ضرب الدكتور عمارة توضيحًا لهذا المثل فقال: من المصطلحات الشائعة في ميدان ((التشريع)) القانوني مثلًا،

مصطلح: ((الشارع))، يوصف به من ((يُشَرِّع)) القانون، فردًا كان أو جماعة- مؤسسة- فواضع القانون((شارع)) و ((مُشَرِّعٌ)) له ..و المجالس النيابية، التي تمثل سلطان الأمة في ((تشريع)) القوانين، هي((هيئات تشريعية)) ((تُشَرِّع)) القوانين..

((فالشارع)) – هنا- و ((مصدر التشريع)) و ((واضع الشريعة)): هو إنسان، فردًا كان أو هيئة تشريعية. هذا هو حال مصطلح ((الشارع)) و ((التشريع)) و((الشريعة)) في ميدان ((القانون))

فهل – حقاً- ((لا مشاحةً في هذا المصطلح الشائع، وفيما يحمل ((وعاءه)) من مضمون))؟

(إن الإجابة عن هذا السؤال لن تكون واحدة لدى أبناء كل الحضارات الإنسانية وفي طار كل الأنساق الفكرية، ومن قِبَل كل المعتقدين بمختلف المذاهب والمعتقدات.. ومن ثم فإن هناك ((مشاحةً)) أكيدة في هذا المصطلح.. مشاحة تامة في مضمونه، ومشاحة كبيرة فيه كوعاء صالح وكأداة دقيقة وصالحة لحمل الرسالة والمضمون..)

إن ابن الحضارة الغربية، الذي لا يؤمن بوجود شريعة إلهية تنظم الجانب المدني الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للدولة والاجتماع البشري والعمران الإنساني يؤمن بأن الإنسان، فردًا كان أو طبقة أو أمة، هو المصدر الأول والأخير للشريعة و التشريع.. فالإنسان هو ((الشارع)) سواء أكان ذلك في إطار أصول الشريعة- قواعد ومبادئ القانون الطبيعي- كما تسمى في الحضارة الغربية- أم في إطار فروع الشريعة – القانون. فهذا المصطلح -((الشارع))- بهذا المعني طبيعي وصادق في هذا الإطار، إطار الحضارة التي لا تؤمن بوجود ((شارع)) غير هذا الإنسان، وخارج هذا((الواقع المادي)) سواء أكان السبب في ذلك هو

الطابع المادي الإلحادي لهذه الحضارة، أم المنحى والتوجه العلماني الذي يرفض تحكيم((الإلهي)) في شئون((الدولة والاجتماع والعمران)).

وعندما يتم إطلاق هذا المفهوم في ظل الحضارة الإسلامية نجد أن المعنى يختلف تبعًا لمرجعيَّة الأمة المعتمدة لديها، والتي تمثل أيديولوجيتها وتدل في الوقت ذاته على هُويَّتها، "ففي هذه الحضارة الإسلامية، يدل مصطلح ((الشارع)) على واضع أصول الشريعة، ويختص به... وهذه الأصول ليست إبداعًا إنسانيًّا كالقانون الطبيعي- في الحضارة الغربية – وإنما هي ((وضع إلهي)) نزل به الوحى، دينًا يتدين به إنسان هذه الحضارة[1] قال تعالى:{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} [الشورى ١٣]

٢ ضعف الثقافة الإسلامية الرشيدة

حيث يوصف هذا العصر بعصر الحضارة الغربية الغالبة والتي تُسوق مفاهيمها عبر آليات إعلامية وبحثية وينقلها بمضمونها ومتعلقاتها مَنْ لا يدرك التباين الواضح بين المراد منها في بيئتها الثقافية و البيئة الإسلامية، وهذا من الأسباب الداعية للخطأ في المفاهيم، فمن عوائق التجديد للمفاهيم أن يقف أمامه صنفان من الناس، رجل جاهل بإسلامه مقر بجهله، وهذا يكون التعامل معه سهلاً ميسورًا، فعادةً ما ينصاع للحق بعد بيانه له، ووضوحه أمامه. أما الصنف الثاني: هو ذلك الصنف الذي

[1] - معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام د محمد عمارة ط دار نهضة مصر، ص: ٤ و٥ و٦ بتصرف.

عششت في أدمغة أصحابه ثقافة عن الدين مغلوطة ومفاهيم مشوشة، وهؤلاء يمثلون حجر عثرةٍ بكثرة جدالهم وتعلقهم بما اعتنقوه من ثقافة مغلوطة عن الدين ومبادئه وقيمه، بل منهم من يدَّعي –أو يُطلق عليه_ أنه مفكر إسلامي وعالم بالشريعة، وهو لا يعلم منها إلا قشورها، ولا من معانيها إلا ما اختلف فيه،. وهؤلاء يمثلون أهل الحداثة والحداثيون في العصر الحاضر.

إن خطر هؤلاء أنهم يخلطون المفاهيم ويلبسون على الناس دينهم، وتتسع لهم وسائل الإسلام لبث أفكارهم ويحولون بين الناس وبين الفهم الصحيح لمفاهيم الإسلام.

كما أن لهم خطرًا آخر، وهو أن الشباب المتحمس لدينه يفقد الثقة في الدوائر الرسمية التي تسمح لهم بالظهور على وسائل الاعلام وبث أفكارهم المغلوطة بدعوى حرية الرأي. مع ملاحظة أن هذه الساحة الإعلامية وربما الواقعية لا تتسع للعلماء الثقات ممن يحملون فكرًا واعيًا وفهمًا رشيدًا عن الدين وأحكامه، مما يرسخ لدى الشباب فكرة الانعزال عن الدوائر الرسمية في الدولة؛ لعدم الثقة في مصداقيتها، ولشعورهم بأنها لا تمثل موردًا موثوقًا لتلقي الدين عنهم، بل يشتدُّ سخطهم عليها ونفورهم منها وعدم الثقة فيها، مما يجعل الدعاة لا يجدون سبيلاً لهم، وقد أفسد المخلطون السَّاحة عليهم. ونجد هذا ممثلا أصدق تمثيل فيما قامت به (الأليسكو) في مشروعها الموسوم ب: (الخطة الشاملة للثقافة العربية) وهي بمثابة (استراتيجيات للثقافة العربية)، وصفت هذه الخطة بـ(جهد تاريخي ظل حلماً غالياً) بوصف د/ محي الدين صابر مدير عام المنظمة، ومحل الشاهد عدة مقولات أساسية وردت في هذه الخطة، لننظر ماذا يريد

الحداثيون والعلمانيون من العالم العربي والإسلامي؟! وأنقل هنا بعض البنود الواردة في الخطة التي أوردها د.جمال سلطان منها قولهم:

-إن انتشار الإيمان بالغيب (الفكر الغيبي) أهم أسباب انتكاسة الحضارة العربية

-إذا كان الدين عنصر الوحدة في القرون السابقة، فإن القومية هي عنصرها في العصر الحديث

-من المستحيل أن نقبل تقنيات الغرب وعلومه ونرفض في الوقت نفسه فلسفاته وثقافته .

-الحضارة الأوربية حضارة مطلقة بمعنى أنها قابلة للتطبيق في كل زمان ومكان، بينما الحضارات السابقة تاريخية.

-نسبية الماركسية ليست غزوا فكريا يهدد الأمة.

-على استراتيجية الثقافة العربية أن تحذر من السقوط في حبائل الفكر الدين.[1]

إن من الحقائق البادية " أن بعض رواد الفكر الإسلامي لا يحسنون عرض الإسلام، بل منهم من لا يحسن فهمه"[2]

المطلب الرابع: العوامل الاجتماعية

---

[1] - المقال الثامن: الخطر الحداثي على العقيدة د/ أحمد محمد زايد نقلاً عن: كتاب، دفاع عن ثقافتنا جمال سلطان ص ١٦ دار الوطن للنشر – ط الأولى ١٤١٢ هـ.

[2] - المستشار سالم البهنساوي: التقدم والتخلف في صراع الحضارات، مجلة الوعي الإسلامي، العدد٤٤١، جمادى الأولى ١٤٢٣، ص: ٣٥، بتصرف يسير.

لا نستطيع أن نتحدث عن أسباب الخطأ في المفاهيم دون النظر في العوامل الاجتماعية، فكل ظاهرة لابد لها من جانب اجتماعي يمثل حاضنةً لها بغض النظر عن ملامحها أو فسادها، وعند النظر في العوامل الاجتماعية المسببة في الخطأ في المفاهيم للباحث يبدو أمران اثنتان:

١ – التقليد

٢ – التنشئة الاجتماعية الخاطئة

من اهم العوامل الاجتماعية التي تتسبب في الخطأ في المفاهيم

١ – التقليد

يعد التقليد من أسباب الخطأ في المفاهيم قديمًا وحديثًا. فقديمًا أخطأ مشركو العرب في مفهوم النبوة والرسالة وظنوا أنها تُنال بالغنى والثراء أو بالجاه وقوة العشيرة ونفوذ السلطان، وأثر ذلك على سلوكهم، فأعلنوا رفضهم لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأعربوا عن سبب رفضهم في كون النبي ليس بأغناهم ولا بأعظمهم بمقاييس جاهليتهم فقالوا:{ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ }[الزخرف ٣١]، فَرَدَّ عليهم القرآن الكريم مبينًا أن النبوة اصطفاء واختبار وليست اكتسابًا ولا اختيارًا قال تعالى:{ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ } [الزخرف ٣٢] وقال سبحانه: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } [الحج٧٥]. وما حدث ذلك إلا لخلل في المفاهيم حيث كانت هذه المعايير هي معايير التقدم والريادة في مجتمعاتهم، ولا يقبلوا تغيرها أو اعتبار ما سواها معيارًا للريادة والزعامة، وذلك تقليدًا لسلفهم ولما نشأوا عليه في بيئتهم.

كما يبدو أثر التقليد على المفاهيم من خلال بيان مفهوم العبادة عند أهل مكة، حيث جعلوها صالحة للحجر والبشر والنجم والصنم، واتخذوهم وسائط تقربهم من الله زلفى، وقالوا{ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}[الزمر: ٤] وقالوا {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ} [الزخرف: ٢٢].فجاء التقويم القرآني لمفهوم العبادة في قول الله تعالى((قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي}[الزمر: ١٤].

وفي العصر الحديث يبدو التقليد عائقًا أمام دعوات تجديد للخطاب الديني، لما يسبِّبه من خطأ في مفاهيم الناس، ومن هذه المفاهيم التي اعتمدت على تقليد السلف رغم ما فيها من مغالطات ومخالفات للشرع وللقيم البناءة، مفهوم ((الثأر)). حيث لا زالت بعض القبائل والأفراد يؤمنون بهذا المفهوم بصورته الخاطئة السائدة رغم ما فيه من افتئات على السلطة الحاكمة، وغالبًا ما تؤدي لموت إنسان برئ في العادة لا لشيء إلا لأنه من عائلة القاتل الحقيقي، ولذلك لابد من العمل على تصحيح المفاهيم المتوارثة والتي يتم اعتناقها والإيمان بها تقليدًا للآباء والأجداد رغم ظهور فسادها ومخالفتها للشرع والعقل ولقواعد المجتمع الصالح.

٢ – التنشئة الاجتماعية الخاطئ

إن تجديد الخطاب الديني لابد أن يولى اهتمامًا بالغًا بأهمية التنشئة الاجتماعية للأفراد، وذلك لأن التنشئة الخاطئة تقوم بغرس مفاهيم مغلوطة فاسدة تهدد السلم الاجتماعي والحياة الأمنة للأفراد والمجتمعات. ومن المفاهيم الخاطئة بسبب التنشئة الاجتماعية مفهوم الذكورة والأنوثة. حيث تعتمد المفاهيم الخاطئة على تفضيل الذكر على الأنثى، مُعْتَبِرَةً إنجاب الذكر مجلبةً للفرح والسعادة وإنجاب الأنثى مجلبةً للحزن والهم، وما يتبع ذلك من تفْرِيق في المعاملة والتربية والنظرة الدُّونية للمرأة، وكذلك استئثار

الذكر بالميراث كله وحرمان الأنثى منه أو من بعضه كل ذلك نتيجة الخطأ في مفهوم الذكورة والأنوثة. وقد حارب القرآن الكريم هذا المفهوم الخاطئ عند معتنقيه، وأبان لهم أن الذكورة ليست بذاتها سببًا للتفاضل، ولا الأنوثة سببًا للانتقاص، إنما المعيار هو الايمان والعمل الصالح، قال تعالى:{ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[النحل : ٩٧] وقال سبحانه مستنكرًا على من يعتبر إنجاب الأنثى معَّرة وجلبًا الحزن:{ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ }[النحل:٥٨].

كما أن التنشئة الخاطئة تدعوا إلى الخطأ في المفاهيم من خلال تكريس مفاهيم خاطئة لأسلوب الحياة وطريقة إدارتها، فعندما تعتمد التنشئة على الاستبداد ودكتاتورية الآباء، وتفتقد الأسرة الحوار كأسلوب لمناقشة أحوالها ومشكلاتها أو التخطيط لمستقبلها، فإن الجيل الناشئ تتسرب إليه هذه المفاهيم الخاطئة عن الحياة الأُسرية في كونها سلطة غاشمة من الأبوين أو من أحدهما، حيث تفتقر إلى أدني حقوق الإنسان في التعبير بحريه عن رأيه وحقوقه أو مناقشة مستقبله وحرية اختيار طريقه أو تحديد هدفه في الحياة.

إن هذه المفاهيم الخاطئة كما يتم ترسيخها في الأسرة يتم ترسيخها كذلك في بعض دوائر التعليم المختلفة حيث يمارس المعلم سلطةً تمنع النشأ من التفكير أو الحوار أو المنافسة والمثاقفة. وبذلك ينشأ الجيل مشوهًا فكريًا وثقافيًا، معتمدًا على التلقين في تلقى المفاهيم والمعاني، ولا يجد فرصةً لمناقشتها أو تحليلها، فيصر إما حافظًا لها من غير فهم، أو فاهمًا لها لكنه كاره لطريقة تكوينها، فيعلن بعد فترة من الزمن تمرده عليها وكفر بها.

لذلك وجب على كل داعية لتجديد للخطاب الديني أن ينحو إلى دوائر التنشئة فيعمل على تنقيحها وتصويب مسارها، بحيث تُرَسَّخُ المفاهيم الصحيحة، وبطريقة صحيحة، لينشأ الجيل الجديد بوعي كاف وفهم سديد.

المبحث الثاني: الأسباب الخارجية الداعية للخطأ في المفاهيم

تتنوع العوامل الخارجية المسببة للخطأ في المفاهيم. والتي تُمثل في الوقت ذاتية عائقًا أمام عملية التجديد المنشودة للخطاب الديني ومع كونها خارجية إلا أن لها علاقة وطيدة بنفسية الفرد وثقافته وبيئته، وهذا التقسيم هو لبيان مصدر الخطر دون حصر أبعاده الأخرى ولا سبب تمكنه من درجة التأثير. ومن هذه الأسباب:

المطلب الأول: المنزلقات التراثية

المطلب الثاني: الغزو الفكري

المطلب الثالث: وسائل الإعلام.

المطلب الرابع: ضعف الخطاب المؤسسي.

المطلب الأول المنزلقات التراثية

لا شك أن المنزلقات التراثية والتي تبدو فيها نزعاتٌ منغلقةٌ على آراءٍ واحدةٍ ترى معارضَتَهَا كفرًا بواحًا لا عُذْرَ لأصحَابِها أو فسقًا وتعديًّا لحدود الشرع من أسباب الخطأ في المفاهيم. حيث يتم الترويج لهذه المفاهيم والوقوف عندها، وعدم النظر فيما سواها ويتم ضخ هذا " الفكر من خلال النبش في الكتب والفتاوى وإظهار التفسيرات الأكثر تشدُّدًا للنصوص وإنزالها على وقائع العصر ومن ثَمَّ إصدار الأحكام.[1] وهذا يعطي مساحة واسعة لمفاهيم مغلوطة ومشوهة تتمادى وتتوسع على حساب المفاهيم الصحيحة، مما يفرز نزعات متطرفة وأخرى تكفيرية تؤدي لأثار وخيمة بغيضة في واقعِ الأمةِ، فهي تزرعُ الكراهيةَ وتدعُو للتشرذمِ ونبذِ الآخرِ

[1] -تجنيد الارهابيين عبر مواقع التواصل الاجتماعي - د. حسام محمد نبيل ص ٢١ بحث منشور إلكترونيا http://www.carjj.org .

وهدمِهِ، بدلاً من التواصلِ معهُ لخيرِ الإنسانيةِ. ولقد حوى تراثنا الإسلامي بعضًا من هذه المنزلقات التي تحتاج لبيان العلماء الأثبات حتى لا تجنح فيها الأفهام لما تشدد من المعاني، وما لما شذَّ من المضامين، ولا تسيطر النظرة الجزئية على مضمونها ومن هذه المنزلقات التراثية مفهوم "الفرقة الناجية" وآثارها في الحكم على الآخر بالضلال والدخول في النار

"فالفرقة الناجية: مصطلح استنبطه العلماء من الحديث النبوي الذي يقول: "ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة"[1]، فيعرفون الفرقة الناجية بأنها هي المتبِعَة للرسول صلى الله علية وسلم وأصحابه

وهذا الحديث المشهور بين الناس؛ والذي يدور حول انقسام الأمة الإسلامية إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، أنتج فهمه الخاطئ شتاتًا وتنوّعًا في الحكم على الآخرين. حيث ادَّعت كثير من الفرق لنفسها أنها هي التي تمتلك الحق، وهي المتَّبِعة لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وبالتالي هي الفرقة الناجية.

وقد عقَّب الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي على هذا الفهم الخاطئ فقال: (وفي متن هذا الحديث إشكال من حيث أنه جعل هذه الأمة التي بوأها الله منصب الشهادة على الناس؛ ووصفها بأنها خير أمة أخرجت للناس، أسوأ

---

[1] كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني :ج: ١ط: المكتبة العصرية، ط أولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م ، ص:١٦٩-.وهذا الحديث أخرجه بأصله كل من أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، انظر الفتح الكبير –النبهاني٢٠٦/١، وكذلك أخرجه الحاكم ابن حبان في راية؛ قالوا: من هي يا رسل الله؟ قال: (ما أنا عليه وأصحابي).

من اليهود والنصارى في مجال التفرق والاختلاف؛ حتى إنهم زادوا في فرقهم على كل من اليهود والنصارى)،وقال أيضاً (ثم إن هذا الحديث حكم على فرق الأمة كلها –إلا واحدة– بأنها في النار هذا مع ما جاء في فضل هذه الأمة، وأنها مرحومة، وأنها تمثل ثلث أهل الجنة أو نصف أهل الجنة، على أن الخبر عن اليهود والنصارى بأنهم افترقوا إلى هذه الفرق التي نفيت على السبعين غير معروف في تاريخ الملتين؛ وخصوصًا عند اليهود، فلا يعرف أن فرقهم بلغت هذا المبلغ من العدد).[1]

ويبين عدد من العلماء:(أن الحديث يدل على أن هذه الفرق كلها جزء من أمته صلى الله عليه وسلم، أعني أمة الاجابة المنسوبة إليه بدليل قوله:(تفترق أمتي)، ومعنى هذا أنها – رغم بدعتها – لم تخرج عن الملة، ولم تنفصل عن كيان الأمة المسلمة، وكونها في النار –إن اعتبرنا عبارة (كلها في النار إلا واحدة)– لا يعني الخلود فيها كما يخلد الكفار، بل يدخلونها كما يدخلها عصاة الموحدين).

ومع ما ساقه العلماء من آراء حول القضية إلا أن الفهم الخاطئ هو الذي لا يدع مجالاً لتنوع الآراء في المسألة الواحدة، بل يظل صاحبه على ما استقر عليه فهمه من أن الكل لابد وأن يدخل النار إلا ما هو عليه وأصحابه.

المطلب الثاني: الغزو الفكري

لقد أحدث الغزو الفكري الكثير من المفاهيم التي تم تداولها وتم ترسيخها بمعانيها في المجتمعات الإسلامية. ومَكْمَنُ الخطر فيها أن ما يتم تداوله فيه خلطٌ بين الصواب والخطأ، وقد يكون المفهوم خطأ محضًا تمَّ تداوله

[1] - قضايا معاصرة د يوسف القرضاوي، ج١ .

على الألسنة ويتم الترويج له حتى يزاحم المفاهيم الصحيحة، وربما احتلَّ مكانها.

ولا يخفى ما يحدثه هذا الخلل من اضطراب في المفاهيم المتداولة فضلاً عما يُحدثه من تأخُّر في الإصلاح والتجديد لرسوخ المفاهيم المنقولة إلى ثقافتنا مما حدا ببعض الباحثين لأن يصف هذا الوضع بالفوضى، فيقول: " والحقيقة أننا نعاني من فوضى في مضامين أحدثتها حقبة من الاحتكاك بالحضارة الغربية" [1] حيث "عَظُمَ أثر المفتونين ببريق الحضارة المادية الأوروبية الحديثة، لا سيما الذين أنشأتهم المدارس الأجنبية إنشاءً مباشراً، ثم الذين أنشأتهم مخططاتها ومناهجها بشكل غير مباشر.[2]

ولقد حدث هذا في " العصور الحديثة منذ مائتي عام ونيف، فإذا بميزان القوة في العالم يتغير، وإذا ببلاد الإسلام التي تحمل على عاتقها منظومة القيم والمفاهيم يعمُّها وللمرة الأولى في التاريخ أن تصير جميعها كلها مغلوبةً خاضعةً، وإذا بالسيف الناصر ينكسر، ولا يبقى بين أيدي الناس سوى الكتاب الهادي، وهم يختلفون فيه.

وبدأت منذ هذا التاريخ معركة المفاهيم الأولى في العصر الحديث بين منظومة القيم والأفكار التي تحملها الحضارة الغربية الغازية الغالبة، وبين منظومة القيم والأفكار التي جاء بها الوحي ويحملها المسلمون. وأنتجت معركة المفاهيم الأولى قسمةً جديدةً في المسلمين إلى تيارات ثلاثة رئيسة بحسب موقفهم من تلك المنظومة الغربية ١ – تيار الحداثة والتغريب ٢ – تيار التنوير الإسلامية ٣ – تيار التأصيل والمحافظة.

---

[1] - المصطلحات بين الغرب والإسلام، د/ محمد عمارة ص:،١٤، ١٥.

[2] - حول مفاهيم المسلمين للإسلام – ص٨.

ومعيار القسمة فيهم هو الموقف من منظومة المفاهيم والأفكار الغازية، فالتيار الأول: قَبِلَ منها ما أضاع به من الدين ما يبلغ أن يكون كفراً. والثاني: ردَّ منها هذا الكفر، وقبل منها أشياء تُضيع قطعيَّات من الدين لا تبلغ إضاعتها أن تكون كفرًا. والثالث: أقام حزامًا صلبًا من الممانعة فلم يقبل من تلك المنظومة الغربية ما يكون كفراً، ولا ما يُضَيِّع قطعيًّا من الدين، وجهد أن يقبل ما لا يتعارض أو يتناقض مع منظومة المفاهيم التي أتى بها الوحي، وإن كان تشدُّده في الممانعة أعاقه أحيانًا عن قبول أشياء من الحقِّ الذي لا يعارض ديننا، وأورثه هذا التشدُّد في الوقت نفسه ألوانًا من البغي على مخالفيه من التيار الثاني[1].

وقد مكَّن لهذه الفوضى "التقليد لتجارب الآخر الحضاري، ومناهج العلوم الإنسانية والتصورات الفلسفة، عند هذا الآخر، والجمود عليها، والوقوف عندها."[2]

ولذلك صارت الحاجة ملحَّة لتنقية هذه المفاهيم، والعمل على تصفيتها مما شابها، وإحلال المفاهيم الإسلامية محل السقيم منها. فمما لا شك فيه أن" العزلة الحضارية – في عالمنا المعاصر.. وفي ظل ثورة وسائل الاتصال– هي وَهْمٌ كبير.. وإذا كانت المضامين الغربية والغريبة لكثير من المصطلحات العربية الإسلامية قد أصبحت جزءًا من واقعنا الفكري والثقافي الداخلي، نظرًا لنجاحات التغريب في حياتنا الفكرية والثقافية والإعلامية، وإذا كان الحوار بين حضارتنا والحضارات الأخرى.. وكذلك الحوار بين

[1] - معركة المفاهيم الشيخ/ أحمد سالم (أبو فهر) http://www.dorar.net/art/1321

[2] المصطلحات بين الغرب والإسلام ص:١٩.

تيارات الفكر في واقعنا الثقافي، هو طوق النجاة من الاستقطاب الفكري المدمر لمختلف الفرقاء..

إذا كان الأمر كذلك.. فإن تحرير مضامين المصطلحات، واكتشاف مناطق الاتفاق ومناطق التمايز في معاني ومفاهيم هذه المصطلحات – وخصوصًا تلك المصطلحات الأكثر شيوعًا والأكثر إثارة للجدل بين تيارات الفكر في عصرنا وفي واقعنا، هو مهمَّة أساسيَّة وأوليَّة بالنسبة لأى حوار فكرى حقيقي وجاد ينقذ حياتنا الفكرية من خطر الاستقطاب الحاد، ويُوجِدُ ((لغةً فكريَّةً واحدة)) بين الفرقاء المتحاورين))"[١]

ويضل التأثير بالغزو الفكري منتهاه عندما يتمّ تزوير صورةٍ خاطئةٍ عن الإسلام عن طريق إدخال التزويرات الجزئية على بعض المفاهيم والتعاليم الإسلامية الثابتة، وهذا ما اتجهت إلية أجهزة المكر في هذا العصر، وكانت لعبة قصد بها تحويل المسلمين عن أسس التعاليم الإسلامية باسم الإسلام.

فمن أمثلة ذلك الأسماء الحديثة التي انتشرت في عالمي الاقتصاد والسياسة (كالاشتراكية والرأسمالية والدكتاتورية والديمقراطية). وهنا نقول: إن الإسلام الاشتراكي وفق مفهوم الاشتراكيين صورة مزورة للإسلام، وإن الإسلام الرأسمالي وفق مفهوم الرأسماليين صورة مزورة أيضاً للإسلام، وإن الإسلام الدكتاتوري وفق مفهوم الدكتاتوريين صورة مزورة للإسلام، وإن الإسلام الديمقراطي وفق مفهوم الديمقراطيين صورة مزورة أيضا للإسلام. أما الإسلام فهو شيء أخر غير هذا وغير ذلك، وإن كان بين

[١] المرجع نفسه، ص:١٢

هذه النظم وبين التعاليم الإسلامية تشابه جزئي.[1] وما كان لهذا التزوير في المفاهيم أن يلقى رواجًا وميولاً لولا وجود خلل مفاهيمي عن بعض من يسيئون للإسلام.

إن هناكَ إجماعًا بين مَنْ درسوا ظواهرَ الغزوِ الثقافيِّ على اختلافِ أشكاله، وفي مختلف الأقطارِ التي تتعرَّضُ له عربيًّا أو عالميًّا، اتفقوا فيه على حقيقة واحدة: أنَّ الغزوَ الثقافيَّ أو تسرُّبَ التغريبِ، أو نجاحَ التنميطِ الثقافيِّ هو رهينٌ بدرجة القابلية لهُ، فالتنميطُ عمليةٌ مفروضةٌ من الخارجِ لا تنجح بشكل تلقائي؛ بل لا بد لها من توافرِ شروطٍ داخليةٍ في البلدِ الذي يتعرَّضُ لها، حالها في ذلك تمامًا حال الغزو العسكري أو التبعيّة الاقتصاديّة، تتلخص هذه الشروط في ظاهرة وَهَنِ المناعةِ الثقافيةِ على اختلافِ أسبابها وأشكالها[2].)) ويعظم الخطب عندما ينادي بهذه الصورة المزورة عن الاسلام ذلك من يتوقع منهم حماية الدين وتصحيح المفاهيم!!!

المطلب الثالث: وسائل الإعلام

يُعرف الإعلام بأنه: " العملية التي يترتب عليها نشر الأخبار، والمعلومات الدقيقة التي تركز علي الصدق والصراحة، ومخاطبة عقول الجماهير، وعواطفهم السامية، والارتقاء بهم من خلال تنويرهم، وتثقيفهم لا تخديرهم

[1] المصطلحات بين الغرب والإسلام – ص١٢

[2] - ثقافة الطفل العربي بين التغريب والأصالة - تأليف: مصطفى حجازي، ص:. 90

وخداعهم [١]. وتقوم وسائل الإعلام الجماهيرية بعملية تكوين الصور (معاني، مفاهيم، تعاليم) من أجل خلق قيمٍ معيّنةٍ لدى الفرد، وهي في حالة اشتباك دائم مع ذاتها ومصادرها وواقعها ومتلقيها ومنافسيها من أجل هذه المهمة الصعبة والوصول إلى تشكيل القيم التي تريدها [٢].

ويوجد نماذج لتغيير القنوات التلفزيونية للكثير من المفاهيم، فقد غيَّرت هذه القنوات مفهوم لقاء الرجل بالمرأة الذي كان يُعد مُحْرَّمًا خارج الحدود الشرعية، أصبح الأمر طبيعيًّا وقدّمت العلاقة على ذلك الشكل على أنها شريفة وصادقة، وإذا وقع الحرام فهو شيء طبيعي ناتج عن المشاعر الخالصة بين الطرفين.

وعلى هذا النمط، غرست تلك القنوات في أذهان الصغار، أفكارًا و معتقدات و قدمتها على أنها من المُسلمات !! وألقت في أذهان الكبار الشك في طبيعتها بين موافق ورافض، حتى أن شغل الفتاة العربية أصبح يتأرجح بين الأزياء والحلي والعري والخلاعة [٣]..

ولم يعد خافيًا عن الأعين والعقول أثر الإعلام على منظومة القيم والمفاهيم التي تسود المجتمعات، فقد صار العصر الحاضر يخضع لسلطان الإعلام بامتياز، وساعد على ذلك ما يتمتع به الإعلام المعاصر

---

[١]. دور التلفزيون، في تشكيل الوعي الاجتماعي، لطلاب الجامعات، عاطف مطر، رسالة ماجستير، غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ٢٠٠٣. ص١١٨.

[٢] - علم الاجتماع التربوي الأنساق الاجتماعية التربوية، دعنان إبراهيم أحمد، محمد المهدي الشافعي،، ليبيا: جامعة سبها، ٢٠٠١، ص٢٧١.

[٣] - وسائل الإعلام و القيم. د تماضر يوسف http://temmar youcef.ab.ma/140728.htm،

من خصائص جعلت له قَصَبَ السَّبْقِ في التأثير على أفراد المجتمع صغارًا وكبارًا، فهو يحتوى على التشويق والإثارة والاقناع والاستمالة بكافة أنواعها، ومن هنا كان تأثيره عميقًا حتى إنه ليوصل لمفاهيم جديدة ويزرع قيمًا حديثه قد تكون مستوردة أو مرذولة، ولا توافق المجتمع الذي يُراد لها أن تُنْشر فيه. ولذلك تخشي الثقافات على خصوصيتها جراء هذا السيل الجارف من المفاهيم المستورة والخاطئة عبر وسائل الإعلام. والتي جعلت للإعلام الكلمة العليا في إقرارها وتمريرها.

ولم يَعُد التقوقع والانعزال ممكنًا في عصر السماوات المفتوحة. لذلك، فإن تجديد الخطاب الديني لابد وأن يعي قدرة هذه القوة الهائلة على التأثير، وأن يجعلها سلاحه الوضَّاء في تجديد الخطاب، فهي آلية فتَّاكة. إن تم تركها لمن يديرونها بعَمَايَةٍ وجهلٍ أو بعمَالَة وخيَانَة للأمة، سددت كل نافذة للإصلاح، وقطعت كل أمل في التجديد المأمول، ولذلك كان من الأجدى والأنفع للأمة أن يتم استعمالها فيما يعود بالنفع لا بالضر، وذلك بتوجيهها التوجيه الأمثل نحو ترسيخ المفاهيم البنَّاءة، ودحر المفاهيم الهدَّامة؛ ليصل المعنيون بالأمر للتجديد المنشود.

وهذا إذا تحدثنا عن الإعلام المحلي، أما الإعلام القادم من الخارج فله من الآثار الكثير الذي يصعب حصره في هذا البحث. ولقد أثار هذا التدفق الإعلامي والثقافي القادم من الولايات المتحدة الأمريكية قلعة عالمية،

باعتبار الظاهرة الإعلامية من أخطر الظواهر تهديدًا للأمن الثقافي والأيديولوجي، والوحدة والهُوية القومية داخل الإقليم الوطني للدولة [1].

وهذا كله يقف عقبة أمام تجديد الخطاب الديني، لما يبثه الإعلام من مفاهيم خاطئة لا تتوافق مع الدين الصحيح والقيم المجتمعية النافعة في بعض الأحيان، ويعمق لمفاهيم مغلوطة يتم تداولها بصورة واسعة الانتشار بين طبقات الشعب المختلفة، مما يعطي أثرًا سيئًا لا بد من مواجهته والعمل على تصحيحه.

المطلب الرابع: ضعف الخطاب الديني وعدم قدرته على الإقناع

إن الخطاب الديني يلاقي مشكلات عدة. ومن أهمّا الضعف الذي يحول بينه وبين العلاج الناجع لمشكلات المجتمع أو التأثير منه بقوة، وذلك لاعتماده على آليات ومناهج لا تقبل التجديد والتطوير، ولا تراعي مستجدات العصر ومتطلبات المجتمع ومن مظاهر ضعف الخطاب الديني وخاصة الرسمي هي تحليقه في عوالم أخرى بعيدًا عن واقع الناس ومستجدات حياتهم.

ومما لا شك فيه أن الخطاب عن أي "قضية لا تمسّ الواقع ومشكلاته الحية فهي قضية فاشلة، وكل إنسان يصرف جهدًا كبيرًا من الحديث والخطاب عن قضية لا تواجه الناس في واقعهم فهو إنسان يحتاج لتصحيح مساره، ودراسة واقعه، وما أجدر أن يلتمس الدعاة مواطن الخلل

[1] -. مدخل لتحديد مفهوم الاختراق الإعلامي، سعد لبيب، ندوة الاختراق الإعلامي للوطن العربي، القاهرة ٢٣-٢٤ نوفمبر ١٩٩٦، معهد البحوث العربية، ط١٩٩٩،٢. ص:٤٢،٤١.

ومشكلات الحياة التي يعيشها المخاطبون، لا أن يعيش المتلقي في عالم ليس له فيه ناقة ولا جمل.

إن الحديث عن القضايا الخارجة عن إطار ما هو معاش من إشكالات وهموم تمس الخلق هو أحد المستنقعات الخطيرة التي ساهمت في جعل الدين منعزلاً عن الحياة، وليس له الدور البارز في همومها وقضاياها نسبةً للتغييب الخطابي للمشكلات البشرية الحيوية الفاعلة[1] ، وكما قال العز بن عبدالسلام: (من نزل بأرض تفش فيها الزنا فحدث الناس عن حرمة الربا فقد خان).

إن ضعف الخطاب الديني في مقابل ضخامة ما يواجهه العالم من تحديات يترك المجال مفتوحا للمفاهيم المغلوطة لتتمدّد على حساب المفاهيم الصحيحة ولذلك أرجع الشيخ الدكتور سلمان بن فهد العودة ما تعاني منه المجتمعات الإسلامية إلى ضعف الخطاب الديني، وأنه "خطاب ضعيف، وخطاب واهن، وخطاب مفكك، وخطاب فردي، بينما العالم الآن يشهد تحديات ضخمة وهائلة في عصر العولمة، وفي عصر المعلوماتية وفي عصر المبتكرات والمخترعات الهائلة التي أصبح العالم فيها أحيانًا يقولون: قرية ، وأحيانًا يقولون: شقة، وأحيانًا يقولون: غرفة، وهذا أجود أن العالم أصبح غرفة صغيرة، أو إن شئت فقل: غابةً واحدةً الحكم فيها حكم القوي. إذاً: واقع الخطاب الديني والتحديات التي يواجهها العالم الإسلامي تتطلب بالضرورة الاهتمام بموضوع تحديث الخطاب الديني، وأعتقد أن عملية التنمية التي ننشدها أو عملية النهوض – النهضة في العالم الإسلامي التي ينادي بها كل المخلصين للإسلام– هذه النهضة إذا

[1] -تجديد الخطاب الدعوي http://blogs.aljazeera.net .

لم تنطلق من منطلق ديني فأنا أقطع بأنه محكوم عليها بالفشل، فلابد من خطاب ديني واع ويقظ ومعاصر وملتزم ومنضبط في نفس الوقت يستطيع أن يصنع هذه النهضة ويرعاها ويدفعها، ويخرج الأمة من هذا التيه، وهذا الدوران الذي تدور فيه حول نفسها دون أن تستطيع الخروج من هذه المآزق . [1] ومن النتائج المهمة لخطاب إسلامي واعي هو غرس المفاهيم الصحيحة وتصحيح المفاهيم الخاطئة.

[1] - موسوعة د سلمان العودة http://www.salmanalodah.comK

المراجع:

- أضواء على التعصب"؛ أديب إسحاق، جمال الدين أفغاني، ومجموعة من الباحثين، دار الأمواج – بيروت، ط(١)، ١٩٩٣.
- الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الظاهري– تحقيق لجنة من العلماء دار الجيل – بيروت.
- التقدم والتخلف في صراع الحضارات، المستشار سالم البهنساوي: ، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٤٤١، جمادى الأولى ١٤٢٣.
- الحضارة– الثقافة – المدنية، دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، نصر محمد عارف، سلسلة المفاهيم والمصطلحات ،(أمريكا: المعهد العالمي للفكر الاسلامي ،١٩٩٤م).
- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (تـ١٧٠هـ)، تح: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار الهلال.
- بناء المفاهيم؛ دراسة معرفية ونماذج تطبيقية الجزء الأول: إبراهيم بيومي، أسامة محمد القفاش، السيد عمر...، إشراف علي جمعة محمد، وسيف الدين عبدالفتاح إسماعيل، ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي – القاهرة: ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
- تقنيات التعريب بالمعاجم العربية المعاصرة. د/ حلام الجيلالي: (منشورات اتحاد الكتاب العرب) ١٩٩٩.
- ثقافة الطفل العربي بين التغريب والأصالة – تأليف: مصطفى حجازي.
- دور التلفزيون، في تشكيل الوعي الاجتماعي، لطلاب الجامعات، عاطف مطر ، رسالة ماجستير، غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ٢٠٠٣.

- لسان العرب، ج ١٢، دار صادر – بيروت، ط ٣: ١٤١٤هـ.
- معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام د محمد عمارة ط دار نهضة مصر.
– مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
– نحو منهاجية للتعامل مع مصادر التنظير الإسلامي بين المقدمات والمقومات، منى عبد المنعم أبو الفضل ،سلسلة المنهجية الإسلامية (١٣)،ط١(القاهرة :المعهد العالمي للفكر الإسلامي ،١٩٩٦م).
- "الدراسة المفهومية: مقاربة تصورية ومنهجية"؛ سعاد كوريم، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الخامسة عشرة، العدد ٦٠، ربيع ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- الأسس اللغوية لعلم المصطلح، محمود فهمي حجازي مكتبة غريب د ت.
– الإسلام وصراع الحضارات، عمر عبيد حسنه :لكتاب أحمد القديدي، ،سلسلة كتاب الأمة (٤٤)،ط١(قطر ،مايو ١٩٩٥م).
– البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي القرشي ط دار عالم الكتب ج: ١٠ : سنة النشر ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .
- التعريفات، باب الألف، تراجع: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١: ١٤٠٥ هـ – ١٩٧٥م.
- الخطأ في ضبط مفاهيم شرعيه هامة – دراسة تحليلية – أعداد د/ عبد السلام داود العبادي – رابطة العالم الإسلامي بحث مقدم إلى المؤتمر الإسلامي العالمي مكافحة الإرهاب – الذي تنظمه رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة- ٦-٣ / جمادى الأولى /١٤٣٦هـ، الموافق: ٢٢-٢٥ فبراير / ٢٠١٥.

-بناء المفاهيم (المقاربة المفاهيمية)؛ إعداد الأساتذة: محمد بن يحيى زكريا، وحناش فضيلة، وزارة التربية الوطنية - الجزائر، ٢٠٠٨.

- تاريخ الجدل ، الشيخ محمد أبو زهرة ، ط دار الفكر العربي.

-تجنيد الارهابيين عبر مواقع التواصل الاجتماعي - د. حسام محمد نبيل ص ٢١ بحث منشور إلكترونيا http://www.carjj.org .

- مدخل لتحديد مفهوم الاختراق الإعلامي، سعد لبيب ، ندوة الاختراق الإعلامي للوطن العربي، القاهرة ٢٣-٢٤ نوفمبر ١٩٩٦ ، معهد البحوث العربية، ط٢ ،١٩٩٩.

-علم الاجتماع التربوي الأنساق الاجتماعية التربوية، دعنان إبراهيم أحمد، محمد المهدي الشافعي، ، ليبيا : جامعة سبها، ٢٠٠١.

- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- مختار الصحاح، زين العابدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي ، تحقيق يوسف الشيخ محمد ، ط: المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ج١، ص:١٤٠.

-حول مفاهيم المسلمين للإسلام .من كتاب: صِرَاعُ مَعَ المَلاحِدَة حتى العظم. تأليف. عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني. تحت عنوان "نقد الفكر الديني " ص٧ كتاب منشور إلكترونيا .www.anti-el7ad.com

- الخطر الحداثي على العقيدة د/ أحمد محمد زايد نقلاً عن: كتاب، دفاع عن ثقافتنا جمال سلطان دار الوطن للنشر - ط الأولى ١٤١٢ هـ

المقالات:

- موسوعة د سلمان العودة http://www.salmanalodah.comK
- نفسية الخوارج ، بليل عبد الكريم، موقع الألوكة، http://www.alukah.net
- تأثير المفاهيم الخاطئة في حياتنا، هيفاء صفوي http://www.alukah.net
- التعصب بليل كريم http://www.alukah.net..
- تجديد الخطاب الدعوي http://blogs.aljazeera.net .
- معركة المفاهيم الشيخ/ أحمد سالم (أبو فهر) http://www.dorar.net/art/1321
- وسائل الإعلام و القيم. د تماضر يوسف http://temmaryoucef.ab.ma/140728.htm